الفـــاعـــل

عرض
د.عايدة نصير
أستاذ متميز
بالجامعة الأمريكية بالقاهرة

أبو جليل، حمدي

الفاعل . ـ ط١ . ـ القاهرة : دار ميريت ، ٢٠٠٨ .

١٩٣ص .

كاتبنا ولد بعزبة أبو طاحون بالفيوم عام ١٩٦٧ من أصول بدوية جاء إلى القاهرة مع آخرين من قبيلته ليعمل لدى مقاول أنفار كى يدبر مصاريف دراسته ، ويسعى لتحقيق حلمه فى أن يكون كاتبا معروفاً .

فهل تحقق الحلم؟

فى يوم ١٥ ديسمبر عام ٢٠٠٨ أعلن قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة عن فوز حمدى أبو جليل بجائزة نجيب محفوظ للأدب الروائى لعام ٢٠٠٨ .

ومن المقرر أن يصدر قسم النشر بالجامعة الأمريكية ترجمة للرواية عام ٢٠٠٩ لتنشر فى كل من : القاهرة ، ولندن ، ونيويورك .

وقد علق أعضاء لجنة التحكيم المكونه من الدكاترة : جابر عصفور ، وهدى وصفى ، وسامية محرز ، وعبد المنعم تليمه .

والأساتذة : فخرى صالح ، وإبراهيم فتحى ، ومارك لينز مدير قسم النشر بالجامعة بقولهم : ـ

"الفاعل" : يفصح عن وعى المؤلف بالمنجز الجمالى الذى أنجزته الرواية والسيرة الذاتية فى الإبداع العربى الراهن .....

يكتب عن حكايات القاع وعالم الأشخاص الذين يعملون فى المهن الدنيا لكى يؤمِّنوا لقمة عيشهم اليومى .... حيوية الشخصيات التى تصورها الرواية وتنقّلها البارع بين الأحداث والمشاهد بما يجعل من لغة الرواية لغة بصرية بالدرجة الأولى ، وعلى نحو يجعل من التعاقب السردى المتوقع تتابعا مشهديا غير متوقع .... ويبدو أسلوبه شديد السذاجة ولكنه يأخذك إلى عالم تعتقد أنك تعرفه .... ولا يكف عن تلوين حكاياته واستعادة فقراتها بتكرار حاذق ....

وقد اجتهد الكاتب فى أن يكون له بين كتاب السيرة الذاتية الروائية ملامحه الشخصية ، وهو لا يقترب من طريقة جوركى وإن اشتبك مع صوت أستاذه ماركيز فى الأدب العالمى ليخلق صوته الخاص .

لم تكن رواية "الفاعل" التجربة الأولى لحمدى أبو جليل بل سبقتها إلى عالم النشر مجموعة أعمال تشهد لصاحبها بالأصالة والجسارة والتجديد وهى : ـ أسراب النمل ؛ قصص .- القاهرة : هيئة قصور الثقافة ، ١٩٦٧ . وهى مجموعته الأولى واحتوت على اثنتى عشرة قصة معظمها انشغل - كما "الفاعل" - بأحوال شباب يتخبط فى البحث عن حياة ملائمة فى القاهرة .

وهذه المجموعة حصلت على جائزة هيئة قصور الثقافة فى نفس العام .

أشياء مطوية بعناية فائقة ؛ قصص . ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ .

حاول فيها عدم تكرار الوقوع تحت طائلة فتنة وغرابة الأجواء البدوية مما جعله ينشغل بما أسماه الازدواج الحسن للعيش بسلام . عليه أن يتقن مراوغة ولعب من يطوى ـ دون نحيب أو عويل ـ صحاريه وخيامه داخله ويتحرك فى المدينة كأهلها .

وقد حصلت على جائزة الإبداع العربى فى القصة القصيرة بالإمارات .

لصوص متقاعدون : رواية . ـ القاهرة : ميريت ، ٢٠٠٠ . وهى أول رواية خارج خط حياة الكاتب وكتاباته ؛ فهي شيء عارض وعابر وكل ما شغل الكاتب محاولة فهم ما رأى فى بيت على حافة القاهرة ؛ بنوع من الموضوعية والمرح وأحيانا التهريج ؛ ترجمت للفرنسية ٢٠٠٥ ، والإنجليزية ٢٠٠٧ عن جامعة سيركيوس وأعاد إصدارها قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة .

القاهرة : شوارع وحكايات . ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٧ ؛ رغم الجولة الثقافية التاريخية التى قام بها المؤلف عبر شوارع القاهرة يتعرف على أسرارها يقول المؤلف إنه فجأة وجد نفسه مضطراً - ليس فقط للتجول فى الشوارع على مهل- ولكن لتسجيل ابرز ملامح سكانها ومنشآتها والبحث فى مراحلها التاريخية ، وذلك كحل أخير لاستمراره فى مزاولة مهنة الصحافة ، وقد حاول الإلمام بالشوارع الواردة فى الكتاب رغم إدراكه أنها مجرد ممرات ضيقه فى سهل القاهرة الواسع والعميق . والكتاب مرجع لكل باحث فى تاريخ مصر والقاهرة .

أما رواية "الفاعل" ، روايته الثانية يقول الكاتب يكفيها إيمان أصدقائه : أسامة الدناصورى ، وأحمد اللباد ، ومحمد هاشم ، وشعبان يوسف ، وسليمان الفهد . ويكفيها جائزة الأستاذ العظيم صاحب "المرايا" ، المرايا الحرة الساحرة ، بذرة الانحراف ومحرضة على مر التاريخ . حمدى أبو جليل ـ مدير تحرير سلسلة "الدراسات الشعبية" المتخصصة بنشر الفولكلور ودراساته وكاتب بجريدة الاتحاد الإماراتية .

وتقول الدكتورة سامية محرز فى كلمتها بفوزه بالجائزة أن الكاتب الكبير نجيب محفوظ طوال معظم القرن العشرين قد شغل مكانة متميزة باعتباره المهندس الأدبي بلا منازع لمدينة القاهرة الجديدة

قاهرة الطبقة الوسطى ؛ التى صورها ببراعة على مستويات شتى فى مجمل أعماله .

واليوم ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين ، يجىء حمدى أبو جليل بروايته «الفاعل» ليبني قاهرة جديدة مغايرة ؛ إنها قاهرة «الفواعليه» الذين شيدوها وبدلوا وجه الأطلس الأدبي المتعارف عليه إلى الأبد .

ولنبدأ بأحوال "الفاعل" مهنة المؤلف التى أحبها وعنوان كتابه الحاصل على أعلى الجوائز الأدبية .

أبو جليل ـ الجد الأكبر ، جاء من ليبيا إلى الفيوم شابا ، ونزل على الباسل وهو رمحي مثله وزوَّجه إبنته "غالية" ، وأنجب منها صقر ورسلان وضيف الله ، وتزوج عليها "ملاحية" . من ترسا أنجبت باقى أولاده التسعة وللأسف الذى فلح أحفاد "الفلاحية" ، وبلغوا أرفع المناصب بينما أحفاد "غاليه" وهم أهل الكاتب "أب وأم" معظمهم غفر .

يتهكم الكاتب على اسمه وعلى كل من يحمل اسم حمدى ـ اسمه بالكامل : حمدى أبو حامد عيسى صقر أبو جليل ـ فهو اسم غريب ملتبس غير مفهوم ليس حمد أو حامد أو حميد وإنما حمدى كلمة لا تعرف لمن تنسب : لقائلها أم لحاملها ومعظم الذين يعرفهم يحملونه كانوا مجانين أو معاتيه .

ومن خلال حكاياته عن من يعملون فى المهن الدنيا لكى يؤمنوا لقمة عيشهم اليومى يعتبر الكاتب أن عتالة الرمل مجهود فردى عادل ؛ واحد + واحد = اثنين ، صراع بين الواحد وقوته وكل شيكاره إثبات للجدية والرجولة والقوة .

وفى موقع آخر يصف طبيعة عمل الفواعلية ؛ فهم أنفار يومية ليس لهم يوم أجازة مقدس كباقى المهن . يخرجون للبحث عن محل فإن وجدوا اعتبروا اليوم عمل ، وكانوا يعملون بالذات فى أيام الجمع والعطلات الرسمية وهى أوقات ملائمة للعمل فى البيوت الآيلة للسقوط .

يؤمن الكاتب بقدرات الإنسان على كل شىء ، فإذا آمن رأى فى كل خطوة دليلا جديداً على حقيقة إيمانه وقصصه كثيرة منها :

الخاص : كقصه آلام أمه التى استعصت على كبار أطباء مصر وبمجرد أن تغمر رجليها فى رمال سيدى دانيال تشفى وتعود ماشية كالحصان .

ويتذكر طفولته كيف كان فرحا ومستمتعاً بالآذان ؛ حيث كانت عزيتهم حتى السبعينيات لا تعرف مظاهر التدين ، ونظراً لأنهم كانوا يستخفون بمهمة المؤذن باعتبارها غير لائقة لشيخ عرب معتبر ؛ كانوا يوكلونها للأطفال .

فى نهاية السبعينيات أخفق ابن عمه فى أن يكون مدرساً ناجحاً ولكنه نجح فى الجامع ، وبدأ يخطب الجمعة على طريقة الشيخ كشك ولكنه كان يوجه سهام كلماته إلى أهله ؛ التى تشاع فى النمائم السرية . وبالطبع لا يخرج فلان الفلانى هذا عن واحد من أقاربه فتقع معارك بعد إنتهاء الخطبة ويبدأ

الضرب بالشوم ورغم هذا صار له أتباع أطلقوا لحاهم وهجموا على كام فرح ومنعوا الرقص والغناء وفرقوا بين الرجال والنساء وهجموا على أحد أعمام الكاتب فى دكانه الذى أقامه لسهرات المسامرة .

لكن الموضوع قتل فى المهد ؛ حيث اجتمع كبارات العائلة فى بيت العمدة واستدعو الاخوة وعنفوهم وحذروهم من الغلط ، وتوعدوهم بالجلد ونتف اللحى واللى عايز يصلى عنده الجامع وملهمش دعوة بحد وانتهى الأمر . فهنيئا لعائلته الكبيرة التى نجحت فيما عجزت أمامه دول .

كانت تجربته الأولى فى العمل فى الفاعل عند تخرجه من الإعدادية وسفره إلى القاهرة مع أنفار من العزبة والعمل كفاعل لمدة أسبوعين ؛ حيث قبض خمسين جنيهاً ونزل إلى الفيوم واشترى العجلة التى كان يحلم بها ودخل العزبة راكبا عليها .

نجح الكاتب فى تجسيد ملامح خاصة لسيرته الذاتية يسردها متفرقه مع إبراز غرابة علاقاته البدوية السائرة فى طريق التفسخ وانخراطه فى المهن الدنيا لتوفير مصاريف التعليم وتمرده على القمع السياسى وتحليله الجسور للشخصيات فى حياته بأسلوب جرىء يصعب على الكثيرين اتباعه ؛ حيث تطرق إلى مواطن محرمة فى نظر الذوق التقليدى .

وبالنيابة عن لجنة تحكيم جائزة نجيب محفوظ تقول الدكتورة سامية محرز : إن قراء رواية "الفاعل" سيجدون أنفسهم أمام مأزق عند خوضهم فى قراءة النص المتميز القائم على مجموعة الحكايات والأحداث والنوادر واللحظات المنفصلة ـ المتصلة فى آن واحد مَجدولة فى نسيج سردى يتحدى قناعتنا وتوقعاتنا عن الرواية التقليدية ، فهى لعبة أو حيلة يحتالها هذا الراوى المشاغب ، المراوغ على قرائه ليقتادهم إلى عالم الفاعل الساحر ؛ حيث يباغتهم بالضحك مع كل سطر من سطور الرواية . ولا ريب فى أن جمال هذا النص وقوته ، بل ومتعة قراءته أيضا ، تكمن جميعها فى مقدرته على تمكين "الفواعلية" من الفعل ذاته بحيث يصبحون فى النص شخوصا فاعلة على الرغم من قسوة مهنتهم وبؤسها .

صحيح أنهم فى أسفل السلم إلا أن الكاتب يخلق منهم أبطالا صعاليك لهم أحلامهم ورغباتهم ومراوغاتهم ؛ والأهم من ذلك كله حسهم الساخر الذى يفجعنا ويضحكنا فى نفس الوقت .

فهنيئاً لكاتبنا المتميز حمدى جليل بجائزة نجيب محفوظ للأدب الروائى والتى أنشأها قسم النشر بالجامعة الأمريكية منذ عام ١٩٩٦ ؛ حيث يعتبر هذا القسم الناشر المسئول عن ترجمة أكثر من ٥٠٠ طبعة باللغات الأجنبية لأعمال الأديب نجيب محفوظ والتى ترجمت إلى ٤٠ لغة فى جميع أنحاء العالم منذ فوزه بجائزة نوبل عام ١٩٨٨ .